

تفسير البحر المحيط

@ 182 @ الرسول وغير ذلك من الآيات التي أخفوها ، وأدرج تعالى تحت الإلزام توبيخهم وإن نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض ، ف قيل : جاء به موسى وهو نور وهدى للناس فغيرتموه وجعلتموه قراطيس وورقات لتستمكنوا مما رمت من الإبداء والإخفاء ، وتتناسق قراءة التاء مع قوله : { عَـلِمْتُمْ } ومن قال : إن المنكرين العرب أو كفار قريش لم يمكن جعل الخطاب لهم ، بل يكون قد اعترض بني إسرائيل فقال : خلال السؤال والجواب : تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس ومثل هذا يبعد وقوعه لأن فيه تفكيكا لنظم الآية وتركيبها ، حيث جعل الكلام أولا خطابا مع الكفار وآخر خطابا مع اليهود وقد أوجب بأن الجميع لما اشتركوا في إنكار نبوة الرسول ، جاء بعض الكلام خطابا للعرب وبعضه خطابا لبني إسرائيل ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة في الثلاثة . . { وَعَـلِمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا } أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ { ظاهره أنه خطاب لبني إسرائيل مقصود به الامتنان عليهم وعلى آبائهم ، بأن علموا من دين الله وهداياته ما لم يكونوا عالمين به لأن آباءهم كانوا علموا أيضا وعلم بعضهم وليس كذلك آباء العرب ، أو مقصود به ذمهم حيث لم ينتفعوا به لإعراضهم وضلالهم ، وقيل : الخطاب للعرب ، قاله مجاهد ذكر الله منته عليهم أي علمتم يا معشر العرب من الهدايات والتوحيد والإرشاد إلى الحق ما لم تكونوا عالمين { وَلَا آبَاؤُكُمْ } وقيل : الخطاب لمن آمن من اليهود ، وقيل : لمن آمن من قريش وتفسير { مَّا لَمْ تَعْلَمُوا } يتخرج على حسب المخاطبين التوراة أو دين الإسلام وشرائعه أو هما أو القرآن ، قال الزمخشري : الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم) مما أوحى إليه { مَّا لَمْ تَعْلَمُوا } أَنْتُمْ { وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آبائكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، وقيل : الخطاب لمن آمن من قريش { لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ } انتهى . . { قُلِ اللّٰهُ } أمره بالمبادرة إلى الجواب أي قل الله أنزله فإنهم لا يقدر أن يناكروك ، لأن الكتاب الموصوف بالنور والهدى الآتي به من أيد بالمعجزات بلغت دلالة من الوضوح إلى حيث يجب أن يعترف بأن منزله هو الله سواء أقر الخصم بها أم لم يقر ، ونظيره : { قُلِ أَيْ شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ } . قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون المعنى فإن جهلوا أو تحيروا أو سألوا ونحو هذا فقل الله انتهى ، ولا يحتاج إلى هذا التقدير لأن الكلام مستغن عنه . .

{ تُمْ ذَرَّهُمْ فِي خَوَضِهِمْ } حال من مفعول ذرهم أي من ضمير { لِّلذَّاسِ }
تَجْعَلُونَهُ قَرَارِيصَ تُبْذَرُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّامْتُمْ مَّا لَمْ
تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّٰهُ تُمْ ذَرَّهُمْ فِي خَوَضِهِمْ } و
{ فِي خَوَضِهِمْ } متعلق ب { ذَرَّهُمْ } أو ب { يَلْعَبُونَ } أو حال من {
يَلْعَبُونَ } وظاهر الأمر أنه مودة فيكون منسوخاً بآيات القتال وإن جعل تهديداً أو
وعيدا خالياً من مودة فلا نسخ . .

{ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } أي وهذا القرآن لما ذكر وقرر أن إنكار
من أنكر أن يكون القرآن أنزل على بشر شيئا وحاجهم بما لا يقدر على إنكاره أخبر أن هذا
الكتاب الذي أنزل على الرسول مبارك كثير النفع والفائدة ، ولما كان الإنكار إنما وقع
على الإنزال فقالوا : { أَنزَلَ اللّٰهُ وَلَا } ، وقيل : { قُلْ مَنْ أَنزَلَ
الْكِتَابَ } كان تقديم وصفه بالإنزال أكد من وصفه بكونه مباركا ولأن ما أنزل الله تعالى
فهو مبارك قطعاً فصارت الصفة بكونه مباركا ، كأنها صفة مؤكدة إذ تضمنها ما قبلها ،
فأما قوله : { وَهَٰذَا ذِكْرٌ مَّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ } فلم يرد في معرض إنكار أن
ينزل الله شيئا بل جاء عقب قوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ
الْفُورْقَانَ وَضِيَاءَ * وَذِكْرِي * لِّلْمُتَّقِينَ } ذكر أن الذي آتاه الرسول هو ذكر
مبارك ولما كان الإنزال يتجدد عبر بالوصف الذي هو فعل ، ولما كان وصفه بالبركة وصفاً لا
يفارق عبر بالاسم الدال على الثبوت . .

{ مَّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } أي من كتب القرآن المنزلة ، وقيل التوراة ، وقيل
البعث ، قال ابن عطية : وهذا غير صحيح لأن القرآن هو